

ثم يعود وينقضها بقوله

فلو وهب المدقع ابن الريا ش ما فرض الله في ماله
لما ائمت اذ خبت كف ذاك منية ذا تحت اسماله
ارى العقل يقضي بذا قبل ان يقوم بتنفيذه الشارع
متى جدت بالخمس او بالزكاة ونازعك النعمة الراكم

وهو هنا يظهر أثر التعاليم الدينية وحتى المذهبية في حل معضل اجتماعي
أقر به في غير موقف من مواقفه في الديوان . ووجه الخطأ في هذا الرأي هو
ان أهل الاجتماع الحديث يرون ان من الحيف ان يكون نصيب العامل
الكاد ، الكادح « صدقة » بسيطة بجود بها « الغني » خازن المال بينما
هو يستحق بفضل جهده العظيم الاجر الذي يقيته ويضمن حاجته في الحياة .
فالخمس (عند الجعفرية) والزكاة عند جميع المسلمين لم ينص بها الشارع
لهذه الغاية بل لغاية الاحسان الى الاطفال اليتامى حتى بلوغ رشدهم وذوي
العاهات الذين افقدتهم الطبيعة مؤهلات الانتاج .

وفي الاخير لانكتم اعجابنا بجرأة الشاعر في كثير من المواقف التي لم
نستطع درجها هنا والذي يقرأ الديوان يجد فيه من الحسنات اكثر مما ذكر
ولا يستبعد - ايضاً - ان يكون رأيه غير رأينا فيما استنكرناه على الشاعر
وهذه نتيجة طبيعية لاختلاف الثقافة ومناحي الفكر كما نوهنا .

بين مخطوبة وصديقتها :

المخطوبة : هو معجب بكل شئ في - معجب بصوتي وشكلي
وشعري وبشرتي !

صديقتها : وانت ما الذي يعجبك فيه ؟ !

المخطوبة : ذوقه السليم

في عالم الادب العربي

عصر الحجة

وخصومات اليوم الحديث

لقد اخرج في الايام الاخيرة « السير فيليب كريس » الكاتب الانكليزي
الشهير قصة عنوانها « عصر الحجة » تعرض بها لاختلاف المذاهب والمقائد
الاجتماعية وتعدد الثقافات في هذا العصر . وقد اوجد صدور هذه القصة صدى
عظيماً في المحافل العلمية والادبية في اوربا حتى ان الصحيفة العلمية الصرفة - التي
تصدر في العاصمة الانكليزية - « الطبيعة » عقدت للقصة فصلاً مشاتقاً ،
في احدى افتتاحياتها ، بقلم السير اوليفر لوج ، عده اغلب الناس شيئاً شاذاً في
بابه لان لم يسبق لهذه الصحيفة بحثها في مسألة أدبية ليس لها علاقة بالعلم .
ولكن اهمية القصة وما حاول الكاتب اظهاره فيها من صور الحياة الاجتماعية
الحديثة وتأثير العلم هو الذي حمل الصحيفة العلمية ان تفتح صفحاتها الاولى
بوجه مقال السير اوليفر لوج الذي كتبه تحت عنوان « الادب الاجتماعي او
خصومات اليوم الحديث » .

وقد تطرق كاتب هذا المقال الى الاختلاف القائم بين العلم والدين وقال
« ان الخصومة الظاهرة بين العلم والدين قبل بضع سنوات عادت الى الظهور
ولكن في غير شكلها الاول اذ هي اليوم ادبية اكثر منها دينية » .

ثم قال « لاشك ان لا تزال توجد عصبية دينية تعيش في كنف الجهل
ولها تأثيرها غير ان هنالك خصومة بين المثل العليا التي يرمي اليها كل من العلم

والدين — تظهر جليلة في قضية اطلاق الحرية للشبيبة في العصر الحاضر وغيرها من القضايا العمالية ».

واستطرد قائلاً « ان الناس يدرسون اليوم علم طبيعة الانسان والاداب الشعبية في الوقت الذي يميل فيه البعض منهم الى تسخيف التعاليم الاجتماعية ونعتها بالهمجية .

وقد انتج علم النفس مذهباً جديداً في الاجتماع يعرف بالمذهب « السلوكي » Behaviorism وهذا المذهب يقضي باطلاق العنان لافرائز الطبيعية وقد اضحت تعاليمه العنصر الهام في قضية تحرير الشبان .

واما تطور الفيزياء الذي أدى الى نحس كثير من العقائد القديمة ونبذها فلم يكن منحصراً بهذا العلم مطلقاً . ونفس الحالة تسود الحياة اليومية : فلناس اخذون بنقد الازياء القديمة التي لا يجدون لها أساساً معقولا ولا رغبة في غرائزهم . والشاب يحمى على شجاعته واقدامه على المخاطر وتجربيه كل شيء من غير ان يحسب حساب العواقب . فلا عجب اذا ما تضاربت الاراء في المثل العليا والافكار ونشأت الخصومات ولكنها خصومات بين العلم والدين كن لم يقم عصر الحججة الا على اسمها . »

موضوع القصة

اما هذه القصة التي يقصد بها السير فيلب كيبس الى اظهار صور الاختلافات التي تسود « عصر الحججة » فهي مكتوبة بروح الحياد ظاهراً ولكنها ليست كذلك باطناً . ففيها من اللبالات ما لا يخفى على القارئ غايته ومبناه . فقد يجد القارئ بعض مواقف لم ترسم الا بقصد انتقاص شأن العلم وتزييفه والتضليل على الناس فيما رعى اليه في اطواره .

اتخذ المؤلف ابطال روايته من شخصيات مختلفة يلمس القارئ آراءهم

خلال الاسطر التي تقص عليه حوادث حياتهم .

والشخصية الوحيدة البارزة في هذه القصة هي شخصية (هيسكت جرينغهام) المتخصص في علم الاحياء Biology . وهو عالم عبقرى منكس على الدرس والبحث في شؤون علمه وهو كذلك أحرص ينظر الى الحياة نظرة مادية . ويعتقد كجيم المتفائلين بإمكان اصلاح البشرية . ودماغه وقد حمل علمه على ان يقر بإمكان تضعيف قوى الطبيعة وتعجيل حركة التطور .

دأبه البحث في قضية ضبط الولادات والتعليم العلماني وابادة العضو الفاسد وتنظيم اتجاه العواطف والذكاء بتلطيف الافرازات الكيماوية الباطنية مما يؤثر على طراز التفكير وتصرف الانسان في الحياة .

ويرى ان « العلم الحديث » أخذ بالحلول محل الدين اليوم لانه (العلم) يظهر للناس بان الظواهر الطبيعية التي ينسبونها الى الكائن الاعلى واللاهوت لم تكن سوى وليدة السنن الطبيعية التي كشف اسرارها الطبيعيون والكيميائيون وعلماء الاحياء . يقول ان مرا كز الاديان القديمة متزعزعة والافكار البشرية آخذة بالابتعاد عنها وان ليس في بقائها اية فائدة غير اقامة العراقيل في سبيل تحرير عقل البشر من المخاوف التقليدية والاعمال الهمجية والنواهي غير المنطقية . فمن واجب « العلم » في « عصر الحججة » ان يبدل « الدين القديم » بدين بلا وحي وان يستثمر قوى الانسان الطبيعية والعقلية بواسطة التفاعل الكيماوي الذي يكيف خلق الانسان ويؤمن نماءه

مخبر الشبيبة

ولقد فقد هذا العالم زوجته الاولى قبل ان يجتاز العقد الرابع من عمره وترك وراءها ولداً اسمه « سيريل » وابنة اسمها (فيولا) غنى بتثقيفهما

على نهج فلسفته المادية و رباها على المبدأ الذي يجب ان يتخذه اهل «عصر الحجرة» ، ولقد كانت مبدأ الحرية المطلقة أهم عنصر في تربيتهم . فلما بلغا رشدهما كانا حاصلين على نصيب وافر من المعرفة من غير ان يقيدا بقيد او شرط . فلم تكن لهما وجهة دينية ولا نزعة روحية . وكانت (فيولا) وهي عريانة تسبح في الهواء الطلق في الحديقة تشبه الالهة يونانية . ولم يكن كذلك من مانع عندها عن ان ترح عريانة في الحديقة وتسلك سلوك الشبان وهي تقول :

« نحن نعود الى الطبيعة هنا ونفعل ما نشاء . تتساق الاشجار وترقص من غير كساء ؛ نضطجع في الاراجيح نلعب التنس او نأكل في الخارج » هكذا نشأ كلاهما وتدربا على النشاط والشجاعة وعاشا حسب المثل الاعلى الذي تصوره ابوهما للشبية الحرة : دخلا عالم « العلم » واخذتا بالعصية على الدين والتعاليم القديمة ؛ يجادلان في كل شيء ولا يقنعان بشيء ؛ ينظران الى الحياة نظرتهم الحقيقية ويتركان القديم وراءهما ؛ يفكران على الطريقة العلمانية ولا يترددان في القيام بعمل خطير دون ان يخيفهما شيء .

في مثل هذا الجو كان يعيش (سيريل) و (فيولا) يوم جاءتهما زوجة ابيهما الثانية وبهذا الحادث تبدأ اهم حوادث القصة .

كان « هيسكت جرينغهام » في الرابعة والخمسين يوم تزوج بزوجته الثانية « ماركريت » ولم تكن لتكبر ابنة سيريل وابنته (فيولا) اكثر من بضع سنوات

وقد كانت « ماركريت » طالبة تدرس عليه يوم كان استاذاً في (اوكسفورد) واستقال بغية الانصراف الى البحث في علم الاحياء . فجاءت

(ماركريت) ووجدت لديها في حديقة البيت محلا تربى فيه الارانب والقردة والفيران وغيرهما من الحيوانات من اجل تجارب زوجها وكان هو الاخير منكباً على تجربة اعادة الشباب الى الحيوانات الطاعة في السن وتضعيف القوة في المنهكة قواها ، ويبحث عن تأثير عملياته في الغدد والافرازات الباطنية والى غيرها ، وهو يقوم بكل ذلك في سبيل العلم والنوع الانساني فكان جودار ماركريت مفعماً « بالعلم » او بالاحرى انه كان انموذج بيت « عصر الحجرة » الحديث . احبت ماركريت زوجها المتوسط في العمر وأطاعته وكانت تفاخر بمحاولاته العلمية وجهوده الاجتماعية ولكنها كانت تتوجع وتبكي لما يصيب القردة والارانب من الازى في العمليات وكانت تود لو لم يفعل زوجها ذلك . ثم اخذت تنحرف عن عقيدتها الروحانية ويزول اعتقادها بالله لأن لم يكن يعرف زوجها عنه شيئاً . لقد كان زوجها مشفقاً حريصاً عليها ولكن لم تكن فكرة الله داخلة في فلسفته .

اما ابو ماركريت فهو رجل متوسط الحال يشتغل في شركة ويحمل كثيراً من الآراء الجديدة ويتعصب لها غير انه يفضل التوفيق بين العلم والدين . ولذا هو يردب من فلسفة (هيسكت) المستقاة عن منبع المادية المتطرفة . وكانت قد تأثرت ماركريت بتأثير نزعة ابيها الروحانية وعقيدته الدينية . ولكنها انصرفت بعد الزواج الى شؤون زوجها شأن « سيريل » و « فيولا » ومن ثم انضم اليها اخوها (كاي) وكان يستدوق الفنون الجميلة والمثل العليا .

ثم يصادف ان يحول على مسرح هذه القصة أشخاص مختلفون النزعات والثقافة ويختلطون ببعضهم في دار ماركريت وفي النوادي والمحافل الليلية . والمثل العليا المختلفة التي يرمى اليها هؤلاء ، تحذبهم الى نهج طرق مختلفة والى النظر الى الحياة بنظرات متفاوتة ، فيأخذ تلاميذ « عصر الحجرة » بنفوذ كثير

من التحفظات التي اوجدها البشر بعد اختبارات واسعة وان لم تكن كلها مرتكزة على أسس معقولة . وان الاعتقاد بوجود نظام روحاني في العالم هو احد هذه التحفظات وكذلك الدين من حيث أصله البسيط . فيختلف أشخاص هذه القصة من حيث قبول او رفض هذه التحفظات ولما كان البحث عن الحقيقة « دين » هيسكت الذي لا محيد عنه كانت ماركريت من جملة أشخاص القصة المتضاربة آراؤهم .

فمن أجل ذلك نحن نرى ماركريت تراقب ابن زوجها (سيريل) واتجاهاته الفكرية في شيء من الغبطة والطمأنينة : ولكن في الخفاء . ونجد هذا الأخير يغير اتجاهه وينحرف عن فلسفة ابيه شيئاً فشيئاً حتى انه يغتفر منقلباً كل الانقلاب لا ينظر الى الحياة نظرة طبيعية بحته بل يريد ان يكون شيئاً وراءها يمنح الحياة مغزاهما الصحيح فينتجه نحو الروح ويميل الى الاعتقاد بوجود قوة روحية في الكون تسيطر على الطبيعة ولذا هو يقول « أليس للأفكار حياة خاصة ؟ هل لا تنتهي المادة في التحليل الى شيء يكاد يشابه الروح ؟ اما التقاليد فهو يرى انها قطعت شوطاً كبيراً في حياة الانسان ولا يمكن هدمها قبل ان يكون ما يحل محلها . وهو أصبح لا يرى للحياة أية قيمة ان لم يكن وراء العالم والطبيعة شيء . ويقول « اذن هي مهزلة يجب الانحفل بها . » صحيح انه و (فيولا) حررا من رقة التقاليد بواسطة العلم ولكنه يسخف ذلك ويرفضه ويقول فيه :

— هذا خطأ محض لا يعرف الشاب شيئاً في الحياة .

ماذا تريدن . فلنتصارع ! يا (فيولا) هل يجب ان يقوم نظام للجمع على الجمال ...

يظن ابناء الجيل المتقادم ، اننا ننظر الى الحياة نظرة علمية ذات معنى

حديث وتقيم فلسفة حديثة تستند الى الغريزة او ما يماثلها ولكن الواقع هو اننا خرجنا على التقاليد — لاننا لم نخلق تعاليمها — ولا نعتقد في شيء ! ليس لدينا شريعة ولا نظام . . . ننظر حركة من جهة تجذبنا اليها او تدفعنا الى الجهة المقابلة . وعندما تشرف القصة على الانتهاء نشاهد فيها حوادث كثيرة غير سارة .

تقع خصومة بين (ماكريت) وزوجها عندما يقوم بعملية اعادة الشباب الى ابيه الكهل فينجح نجاحاً مقروناً بشيء من الاسى . ثم يعقب ذلك حادث (كاي) اخو ماركريت و (فيولا) . فهو يريد ان يتزوجها وهي ترفض ذلك ما لم تتحقق عما اذا كانا متجانسين ويصلح زواجهما . فيغريها هو على السفر الى ايطاليا معه لغاية الاختبار ، يتم سفرهما برضى من (هيسكت) ولكن خلافاً لرغبة (ماكريت) .

ولكن (فيولا) كانت (سلوكية) و (كاي) وجدانياً فلم يستطعا الاتفاق . وفي الاخير لما لم يجد (كاي) طريقة تتشبه من مأزقه استسلم الى الضعف فانتحر

لقد كانت هذه المأساة من أهم الاسباب التي نفصت العيش في دار الرجل العلماني واخذت (ماركريت) الجميلة تتبع هواها الخاص وقد كانت في هذا الوقت مطمح انظار كثير من الناس وكان يبتغيها حتى ابن زوجها (سيريل) الذي لم يرجع عن فلسفة ابيه الا بتأثيرها .

وقد امسى مركزها بعد هذا حرجاً لا يستطيع ان تتجرد عن دينها الذي هو كالغريزة لديها ولا ان تفهم سلوك زوجها .

..

ثم ينتهي القاري من القصة دون ان يلحس نتيجة لانها لم تكتب بروح العصبية لطرف دون آخر كما قلنا ولكنه لا يجد مناصاً عن التفكير

في كنه الانسان والروح والمادة ؟

— معرفة بتصرف —